الحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَرَ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ]، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»(١).

الفَرْقُ بَيْنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحَ وَالحَدِيثِ الحَسَنِ: أَنَّ الصَّحِيحَ أَقْوَى مِنَ الحَسَنِ، فَالصَّحِيحُ: هُوَ مَا رَوَاهُ عَدْلٌ تَامُّ الضَّبْطِ مِنْ بِدَايَةِ السَّنَدِ إِلَى نِهَايَتِهِ، مَعَ السَّلَامَةِ مِنْ الشُّذُوذِ وَالعِلَلِ(٢)، وَالحَسَنُ: هُوَ مَا رَوَاهُ عَدْلٌ خَفِيفُ الضَّبْطِ(٣)، فَيَخْتَلِفُ مِنْ جِهَةِ الضَّبْطِ فَقَطْ، وَإِلَّا فَالحَسَنُ مِنْ قِسْمِ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَنَّهُ أَقَلُّ دَرَجَةً مِنَ الصَّحِيحِ لِمَا فِيهِ مِنْ خِفَّةِ ضَبْطِ بَعْضِ رُوَاتِهِ.

وَقَوْلُهُ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ» يَعْنِي: إِنَّهُ يَرْوِيهِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: طَرِيقٍ صَحِيحٍ، وَطَرِيقٍ حَسَنٍ، هَذَا أَقْرَبُ مَا قِيلَ فِي شَرْحِ هَذِهِ الكَلِمَةِ(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧).

(٢) انظر: المنهل الروي لابن جماعة (ص٣٣).

(٣) راجع (ص١٤٤).

(٤) قال ابن جماعة في المنهل الروي (ص٣٧): «وقول الترمذي وغيره: حديث حسن صحيح، أي: روي بإسنادين: أحدهما يقتضي الصحة، والآخر يقتضي الحسن، أو المراد الحسن اللغوي، وهو ما تميل إليه النفس وتستحسنه». وانظر: شرح نخبة الفكر لابن حجر (ص٢٢٩).

وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ، كُلُّ كَلِمَةٍ وَصِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، وَهُوَ مَنْهَجٌ لِلْمُسْلِمِ يَسِيرُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ اللَّـهِ، وَتَعَامُلِهِ مَعَ نَفْسِهِ، وَتَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ.

أَوَّلاً فِي تَعَامُلِهِ مَعَ اللَّـهِ: يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ بِطَاعَتِهِ، وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، فَالتَّقْوَى: هِيَ فِعْلُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَتَرْكُ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّـهِ وَغَضَبِهِ. وَتَقْوَى اللَّـهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَجْمَعُ كُلَّ خِصَالِ الخَيْرِ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّـهِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ١٣١]، فَهِيَ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ عَظِيمَةٌ.

قَالَ ﷺ: «**اتَّقِ اللَّـهِ حَيْثُمَا كُنْتَ**» فَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّـهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ، حِينَمَا يَظْهَرُ مَعَ النَّاسِ، وَحِينَمَا يَكُونُ وَحْدَهُ لَا يَتَغَيَّرُ تَعَامُلُهُ مَعَ اللَّـهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ مَعَ النَّاسِ أَظْهَرَ التَّقْوَى وَالتَّنَسُّكَ، وَإِذَا اخْتَفَى عَنِ النَّاسِ بَارَزَ اللهَ بِالمَعَاصِي وَالمُخَالَفَاتِ، فَهَذَا مُنَافِقٌ.

وَقَوْلُهُ: «**حَيْثُمَا كُنْتَ**» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَلَّا يَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ، وَلَا يَخْشَى النَّاسَ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سَوَاءً كَانَ مَعَ النَّاسِ أَوْ كَانَ خَالِيًا بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ حَالَهُ، حَتَّى لَوْ تَوَارَى عَنِ النَّاسِ فَإِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آلَ عِمْرَانَ: ٥]، وَقَالَ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النِّسَاء: ١٠٨]، أَمَّا النَّاسُ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عَنْ بَاطِنِكَ وَلَوْ كُنْتَ جَالِسًا

بَيْنَهُمْ، وَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَلَّا يَعْلَمُوا عَنْكَ شَيْئًا إِذَا اخْتَفَيْتَ عَنْهُمْ، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا كَانَ فِي بِلَادِ المُسْلِمِينَ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ، فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى بِلَادِ الكُفْرِ تَنَكَّرَ، وَوَافَقَ الكُفَّارَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَيَتَلَوَّنُ كَمَا تَتَلَوَّنُ الحِرْبَاءُ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَجُوزُ، وَالوَاجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَخَافَ اللهَ وَيُرَاقِبَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَفِي أَيِّ بَلَدٍ.

ثَانِيًا: بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: قَالَ ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»، فَإِذَا صَدَرَتْ مِنَ العَبْدِ سَيِّئَةٌ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُتْبِعْهَا بِحَسَنَاتٍ، فَإِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: ١١٤]، قَالَ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»(٢).

قَوْلُهُ: «**تَمْحُهَا**» أَيْ تُزِيلُهَا وَتُكَفِّرُهَا، هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الأُمُورِ التِي يُكَفِّرُ اللهُ بِهَا الذُّنُوبَ، وَكَذَلِكَ مَنْ حَافَظَ عَلَى الفَرَائِضِ فَإِنَّ اللهُ يُكَفِّرُ عَنْهُ الذُّنُوبَ الصَّغَائِرَ، فَلَا تَقْنَطْ مِنْ

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رَحْمَةِ اللَّـهِ، بَلْ بَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ إِلَى اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزُّمر: ٥٣]، فَالتَّوْبَةُ تجُبُّ مَا قَبْلَهَا، بَلِ المُشْرِكُ وَالكَافِرُ إِذَا تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأَنْفَال: ٣٨]، فَكَيْفَ بِالذَّنْبِ الذِي هُوَ دُونَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ؟ فَلَا تَتَعَاظَمْ الذُّنُوبَ، وَتَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ، وَتَيْأَسَ مِنْ التَّوْبَةِ، تُبْ إِلَى اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَكْفِي التَّوْبَةُ بِاللِّسَانِ، بَلْ أَتْبِعْ تَوْبَتَكَ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفُرْقَان: ٧٠]، فَتَعَامَلْ مَعَ نَفْسِكَ بِهَذَا المِقْيَاسِ، وَأَكْثِرْ مِنَ الحَسَنَاتِ وتُبْ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يَعْفُو وَيَغْفِرُ إِذَا فَعَلْتَ أَسْبَابَ المَغْفِرَةِ.

ثَالِثًا: بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ: قَالَ ﷺ: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» أَيْ: تَعَامَلْ مَعَهُمْ بِالمُعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ، وَبِالخُلُقِ الحَسَنِ، وَبِالكَلَامِ الطَّيِّبِ، وَبِالبَشَاشَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزْرَعُ المَوَدَّةَ فِي القُلُوبِ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ النَّاسِ. وَالخُلُقُ الحَسَنُ: صِفَةٌ حَمِيدَةٌ تَكُونُ فِي الإِنْسَانِ، يَمْنَحُهَا اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالإِنْسَانُ يَتَخَلَّقُ بِالأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ، وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ قَالَ فِي نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤]، شَهِدَ اللهُ لَهُ بِالخُلُقِ العَظِيمِ؛ وَلِهَذَا تحَوَّلَ أَعْدَاؤُهُ إِلَى أَصْدِقَاءَ، وَصَارُوا مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ بِسَبَبِ خُلُقِهِ ﷺ، وصَارُوا يُدَافِعُونَ وَيُنَافِحُونَ وَيجَاهِدُونَ مَعَهُ ﷺ، وَهُمْ

بِالأَمْسِ كَانُوا مِنْ أَلَدِّ الأَعْدَاءِ، لَكِنْ بِتَعَامُلِهِ وَخُلُقِهِ ﷺ مَعَ النَّاسِ اسْتَجْلَبَهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَهَكَذَا يَكُونُ الذِي يَدْعُو إِلَى اللَّـهِ بِالخُصُوصِ، يَكُونُ ذَا خُلُقٍ حَسَنٍ، فَيَتَعَامَلُ مَعَ النَّاسِ بِالحُسْنَى وَاللَّطَافَةِ وَاللِّينِ، حَتَّى يَسْتَجْلِبَهُمْ إِلَى فِعْلِ الخَيْرِ، وَإِلَى التَّوْبَةِ إِلَى اللَّـهِ، وَإِلَى قَبُولِ الدَّعْوَةِ، فَهَذِهِ الكَلِمَاتُ العَظِيمَةُ مَنْهَجٌ يَسِيرُ عَلَيْهِ المُسْلِمُ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ التِي أُوتِيهَا النَّبِيِّ ﷺ، يَجْمَعُ فِيهَا بَيْنَ خَيْرَيْ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

* * *